القصور الصحراوية في الجزائر: نظرة على أهميتها الأثرية والاقتصادية

Sahara Ksour in Algeria: An Overview of Their Archaeological and Economic Significance

د. النذير قوادرية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، nadir.kouadria@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2026/02/28 ؛ تاريخ القبول: 2026/04/15 ؛ تاريخ النشر: 2026/06/15

ملخص:

تطرقت هذه الدراسة إلى القصور الصحراوية الجزائرية من الجوانب التاريخية والأثرية والاقتصادية، باعتبارها جزء من التراث الثقافي الوطني، وأشارت إلى أنها نشأت منذ الفترة الإسلامية الوسيطة، وانتشرت في الصحراء الكبرى، وكان لها دورا بارزا كأماكن محصنة للسكن والتخزين ومحطات استراحة للقوافل التجارية، التي تعبر الصحراء.

واتبعت الدراسة المنهج التاريخي لإبراز نشأة وتطور هذه القصور، والمنهج الوصفي لاستعراض خصائصها العمرانية والمعمارية. وتوصلت إلى نتائج مفادها أن للقصور أصناف عديدة، ولها مرافق عامة لتلبية احتياجات السكان الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. لكنها اليوم تواجه صعوبات متعددة، منها الطبيعية والبشرية، لكن يمكن التغلب عليها من خلال حمايتها بعمليات الصيانة والترميم ونشر الوعي التراثي لدى السكان المحليين. ومن الناحية الاقتصادية تستطيع القصور أن تكون أداة للتنمية المستدامة التي تحسن الإطار المعيشي للسكان المحليين، إذا ما استغلت في السياحة الصحراوية وتشجيع الصناعات التقليدية، مع المحافظة على قيمتها التراثية.

وفي الأخير أوصت الدراسة بضرورة اعتماد استراتيجية واضحة للصيانة والترميم، وبعث السياحة الصحراوية، بالتعاون مع المؤسسات الحكومية والأكاديمية، والقيام بجهود منتظمة لنشر الوعي التراثي لدي المجتمع المحلي، من أجل استدامة هذا التراث المعماري في المستقبل.

الكلمات المفتاحية:

القصور الصحراوية؛ التراث الأثري؛ الجنوب الجزائري؛ السياحة الصحراوية؛ السكان المحليين.

Abstract:

This study examined Algerian Sahara Ksour from historical, archaeological, and economic perspectives, considering them part of the national cultural heritage. It noted that they originated during the Middle Islamic period and spread throughout the Sahara, playing a prominent role as fortified places for housing and storage, and as rest stops for trade caravans crossing the Sahara.

The study used historical and descriptive approaches to investigate the origin, development and architectural features of Ksour. He noted that ksour vary from species to species and include public structures that serve social, economic and military purposes. Today they face natural and human challenges that can be addressed through care, restoration and awareness of local heritage. From an economic perspective, the Ksour offer sustainable development potential by supporting desert tourism and traditional industries, improving the living conditions of the inhabitants and preserving their cultural and historical value for future generations.

Finally, the study recommended the need to adopt a clear strategy for maintenance and restoration, and to promote desert tourism, in cooperation with governmental and academic institutions, and to undertake regular efforts to spread heritage awareness among the local community, in order to sustain this architectural heritage in the future.

Keywords:

ksour; archaeological heritage; southern Algeria; Sahara tourism; local population.

مقدمة:

تملك الجزائر تراثا معماريا كبيرا ومتنوعا، يعبر عن مؤهلاتها التاريخية والأثرية الغنية، ومن أبرزها القصور الصحراوية المنتشرة في العديد من المناطق الجنوبية، وهي لا تعبر عن الغنى الثقافي فحسب، بل كانت مراكز للعمران البشري لقرون عديدة، حيث جمعت بين وظائف الدفاع والمعمار والبيئة بشكل متوافق، كما كانت محطات ضرورية لاستراحة القوافل التجارية العابرة للصحراء.

وتعتبر اليوم هذه القصور من الروافد الهامة للهوية الثقافية الجزائرية رغم العوامل البشرية والطبيعية المتعددة التي تهددها، ومن ناحية أخرى فهي تمثل فرصا حقيقية للتنمية الاقتصادية، لا سيما في مجال السياحة الصحراوية والصناعات الحرفية اليدوية، ويمكن من خلالها الوصول إلى تحقيق التوازن بين الحفاظ على التراث الثقافي والوصول إلى التنمية المستدامة المنشودة من خلال الاستغلال العقلاني للقصور.

وتكمن أهمية هذه الدراسة كونها تفعل نقاشا علميا حول القصور الصحراوية، من خلال التطرق إليها من زاوية تاريخية وأثرية، وإعطاء نظرة شاملة عن حالتها الراهنة من خلال التوجيه بضرورة درء المخاطر البشرية والطبيعية التي يمكن أن تؤدي إلى اندثارها، والتأكيد على أن هذا التراث الأثري يعتبر أحد الروافد الرئيسية للهوية الثقافية الوطنية، وكذا إمكانية استثماره من الناحية السياحية، من خلال بعث تنمية محلية مستدامة.

وفي الكثير من الحالات تتعرض للإهمال وعدم الاستغلال، إلا أنه لا يمكننا غض النظر عن قيمتها التاريخية والأثرية، وكذا البعد الاقتصادي الذي يمكن أن يعزز هذه القيمة ويحافظ عليها للأجيال القادمة، وانطلاقا من كل ما سبق ذكره جاءت هذه الورقة البحثية لتناقش الإشكالية التالية: ما هي الأهمية التاريخية والأثرية والاقتصادية للقصور الصحراوية الجزائرية ؟

ولمعالجة الإشكالية المطروحة في الدراسة، سننطلق من الفرضيات التالية:

- القصور الصحراوية الجزائرية تكتسي أهمية تاريخية وأثرية باعتبارها تراثا معماريا عريقا.
- إمكانية صيانة وترميم القصور الصحراوية إذا توفرت بعض الشروط الذاتية والموضوعية.
- القصور الصحراوية الجزائرية تكتسي أهمية تاريخية وأثرية باعتبارها تراثا معماريا عريقا.

وسنسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- إبراز الأهمية التاريخية والأثرية للقصور الصحراوية.

- استعراض المخاطر البشرية والطبيعية التي تتهدد القصور الصحراوية.

- إظهار طرق حماية وتأهيل القصور الصحراوية .

- الوقوف على الأهمية الاقتصادية للقصور الصحراوية.

وتعنى هذه الدراسة بموضوع القصور الصحراوية حاليا في الجزائر والتي يمتد تاريخها إلى الفترة الإسلامية الوسيطة، اعتمادا على المنهجين التاريخي والوصفي:

- المنهج التاريخي: وذلك من خلال اتباع التطور التاريخي لهذه القصور من حيث النشأة والتسمية والانتشار .

- المنهج الوصفي: والذي يتبع وصف الحالة الراهنة لهذه القصور من الناحية المعمارية وتوثيقها.

وذلك من خلال نظرة تستند إلى محورين رئيسيين: الأول يجمع بين الجانب النظري والميداني، ويخص الجانب التاريخي والأثري للقصور، والثاني اقتصادي ويهتم بالجانب الاقتصادي للقصور وكيفية استغلالها في السياحة الصحراوية، لتحقيق التنمية المستدامة الرامية إلي تحسين الوضع الاجتماعي للسكان المحليين.

1-نظرة على الأهمية التاريخية والأثرية للقصور الصحراوية:

نتطرق في هذا المحور إلى الجانب التاريخي والأثري للقصور، من خلال عرض نشأتها وأصنافها ووظائفها، وخططها المتعلقة بشكل الشوارع والميادين والأحياء، والمرافق العامة التي توفر مختلف الخدمات لسكانها كالمساجد والأسواق والساعات العامة، بالإضافة إلى حالة القصور من حيث عوامل الاندثار التي حلت بها والتدابير الممكنة لحمايتها.

1.1-مفهوم القصور الصحراوية:

من خلال اطلاعنا على العديد من الدراسات في هذا المجال، وجدنا تنوعا في تعريفات ومفاهيم القصور الصحراوية، إلا أنها تجتمع حول الأنماط المعروفة في هذا النوع من المنشآت المعمارية، سواء من ناحية الشكل أو الوظيفة. فمصطلح القصر يعكس علاقة واضحة مع إرث حضري إسلامي عتيق، باعتبار أن هذه القصور تعتبر مستقر لأهل الحضر بالصحراء، وشكلت النمط السكني المنتشر بكثرة ببلاد المغرب الإسلامي خلال فترة معينة من العهد الوسيط، ففي عهد دولة الأغالبة استخدم هذا المصطلح للدلالة على

الحصون والأربطة التي كانت ممتدة على طول الشريط الساحلي أو للدلالة على مساكن محصنة تتسع لبضع عشرات من الأسر، مثل قصور الجريد أو قسطيلية بتونس (حسن، 1999، الصفحات 65-66).

وهنا يجب التنويه إلى وجود إشارات قليلة بالمصادر التاريخية الوسيطة عن تعريف "القصر"، فقد وصف ابن خلدون مدن: توات وتكرارين وورجلان بقصور المغرب (ابن خلدون، 1978، الصفحات 98-99)، في إشارة إلى المغرب الإسلامي، وعلى الرغم من أن القصور المنتشرة ببلاد المغرب الإسلامي بنيت على أيدي قبائل بربرية، إلا أنها وظفت اسم عربي هو "قصر" للدلالة عليها، ويذكر الباحث مارسيل مارسيه أن سكان وادي ميزاب ومنطقة القبائل بالجزائر، يستخدمون إسم "آرارم" بالأمازيغية للدلالة على القصر (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 156). وربما يقصد بها أغارم لأنها الأقرب إلى مصطلح القصر، باعتبارها منقولة عن الباحث الفرنسي مارسيل مارسيه، حيث تنطق الراء غاء بالفرنسية.

وهذا يدل على التفاعل الثقافي بين العرب والأمازيغ، والذي كان نتيجة حركية تاريخية مستدامة من التبادل الحضاري، الأمر الذي تجسد في القصور الصحراوية، فرغم منشأها البربري إلا أنها حملت إسما عربيا، وهو ما يدل على اللحمة والتعايش الذي خلقه الإسلام في المجتمع القصوري، بمكونيه العربي والبربري.

2.1-نشأة القصور الصحراوية:

لقد تواجدت هذه القرى المسماة قصورا في عدة جهات من إفريقية، حيث تحدث الإدريسي عن قرى وقصور على مقربة من مدينة المهدية، كما تكونت ثلاثة قصور بكل من الزارات وجرجيس بتونس الحالية، ويظهر من خلال هذه النماذج أن القصر هو مجال محصن للسكن، ظهر منذ بداية العصر الوسيط، وعرف انتشارا واسعا منذ القرن 6 هـ/ 12 م، نتيجة انعدام الأمن بالبادية الإفريقية (حسن، 1999، الصفحات 65-66). ويبدو أن مصطلح القصر يعود لبداية الفترة الوسيطة، لكن دلالته الوظيفية تدرجت مع مرور الوقت، حتى وصل إلى القصور الصحراوية.

وعلى الرغم من امتناع المصادر التاريخية العربية عن إعطاء تفاصيل واضحة عن الحواضر بالصحراء الغربية بعد مدينتي أودغست وآزوكي، ابتداء من القرن 13 م إلى القرن 17 م، تاريخ بداية ظهور أول المؤلفات المحلية، فإن التقاليد المروية والمكتوبة المتأخرة، ترجع تأسيس بعض الحواضر التجارية الصحراوية العتيقة إلى العصر الوسيط، مثل، ولاتة وودان وتيشيت وشنقيط، كما ألحقت هذه الحواضر إلى الفترة الوسيطة (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 134)، وبالتالي فظهور قصور صحراوية باقليم المغرب الأوسط عموما يعود

أيضا إلى الفترة الإسلامية الوسيطة، مثل قصور توات ووادي ميزاب والساورة، حيث ازدهرت كمراكز تجارية وثقافية ودينية، مستفيدة من الموقع الجغرافي، كمحطات للقوافل التجارية، تربط بين شمال إفريقيا ودول إفريقيا جنوب الصحراء، أو ما يسمى بالساحل الصحراوي.

وتمتد هذه القصور الصحراوية في الصحراء الكبرى التي تعتبر أكبر صحراء في العالم، حيث تتراوح مساحتها بين 8.5 و9.5 ملايين هكتار مربع، وتشمل حاليا عشر دول هي: المغرب والصحراء الغربية والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا ومالي والنيجر وتشاد والسودان ومصر، وتندرج المنطقة الشمالية من صحراء الجزائر فيما يعرف بصحراء لمطة، وخلال الحقبة الاستعمارية لم يلق موضوع القصور الصحراوية اهتماما من طرف الباحثين المعروفين آنذاك كغزال أو مارسيه أو غولفان (Chekhab-Abudaya, 2016, p. 2)). حيث ركزوا على المواقع الأثرية المشهورة وتجاهلوا الفترة الإسلامية الوسيطة الغنية بالآثار العربية الإسلامية.

3.1- أصناف القصور الصحراوية:

فرق الدارسون بين نوعين من القصور الصحراوية في بلاد المغرب، اعتمادا على موقعها الجغرافي، سواء في السهول المنبسطة أو على المرتفعات الجبلية. وغالبا ما تُبنى هذه القصور على تلال أو جبال منفردة، مما يمنحها ميزة دفاعية في التحصين والمراقبة. فالموقع المرتفع يساعد السكان على رصد الحملات الغازية المحتملة، خاصة خلال فترات الاضطرابات السياسية، مما يمنحهم الوقت الكافي للدفاع عنها وحماية ممتلكاتهم من الأعداء (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 157). فإلى جانب وظيفتها الدفاعية كانت القصور مفعمة بالنشطات التجارية والزراعية، مستغلة ما توفر من المياه، بطريقة مبتكرة من خلال أنظمة الري كالفقارة الذي يعتمد على شبكة من القنوات لنقل الماء من الطبقات الجوفية وتوزيعه بشكل متساوي على السكان، كما تميزت بالتآخي وروح التضامن بين سكانها، الذين تكيفوا مع الظروف الطبيعية القاسية للصحراء.

1.3.1- القصور السهلية:

وهي في الغالب قرى محاطة بجدار خارجي يحيط بمنازل متراصة حول ساحة، ويوجد بها مدخل وحيد، ويمكن اعتبار القصور الموجودة بالمناطق الشمالية من تونس كنموذج لهذا الصنف، مثل قصر الكنائس وقصر الوردانين وقصر جمال وقصر اللجم، ولئن وجدت هذه القصور منذ بداية العصر الوسيط، فإن غالبية تحصيناتها لم تظهر إلا في

أواخره مع ازدياد الاضطرابات الاجتماعية والتعديات (محسن، 2003، الصفحات 66-67).

ونستشف من تصميم هذه القصور طغيان البعد الأمني من خلال التركيز على إحاطتها بجدار خارجي لصد الغزاة، وتراص منازلها يمنحها قوة وصلابة ضد اختراقات الأعداء، كما أن الساحة العامة تعتبر المكان المثالي لتدارس مختلف القضايا التي تهم سكان القصر، وتجدر الإشارة إلى وجود بعض القصور المنتشرة في المناطق السهلية لكنها خالية من الأسوار وبالتالي لا ينطبق عليها هذا التعريف.

2.3.1- القصور الجبلية:

تعد ملجأ للسكان ومستودعا لتخزين الحبوب، حيث كانت الغرفة تشكل الوحدة الأساسية المخصصة لهذا الغرض. وقد اتخذت هذه الغرف في الغالب شكلا مستطيلا، بعمق يتراوح بين 4 و5 أمتار، وارتفاع يبلغ نحو مترين. أما المنازل المخصصة للسكن، فكانت تنحت داخل الصخور على هيئة كهوف، حيث يتألف كل منزل عادة من غرفة أولى بعمق 8 أمتار تستخدم للسكن، تليها غرفة ثانية أصغر حجما، يبلغ عمقها نصف عمق الغرفة الأولى تقريبا، وتخصص لتخزين المؤن. ومع ذلك، لم يكن هناك نموذج ثابت لتصميم هذه المنازل الكهفية، إذ كانت تختلف حسب الظروف الطبيعية ومتطلبات السكان. (حسن، 1999، صفحة 67)، ومن هنا ندرك أن تصميمها تحكمت فيه الظروف الطبيعية والوظيفية، وعبقرية المعمار المحلي الذي كيفها حسب حاجة الأهالي ومتطلباتهم اليومية، وفق مبدأ الحاجة أم الاختراع.

4.1- وظائف القصور:

تنوعت وظائف القصور الصحراوية المنتشرة ببلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة، بين الحماية من الأعداء والذعار، والسكن للاحتماء من الظروف الطبيعية القاسية، وبعض الوظائف المعيشية الأخرى كتخزين المؤونة والحبوب، مما جعلها تكتسب صبغة خاصة مقارنة مع الأنماط السكنية الأخرى.

1.4.1- السكن:

في بداية ظهور القصور لم تكن وظيفة السكن هي الأساسية، باعتبار أن غالبية السكان كانوا من أنصاف الرحل الغير مستقرين موسميا، لكن الظروف الأمنية المنفلتة في مرحلة من المراحل عززت وظيفة السكن، وبغض النظر عن الجانب الأمني فحياة بعض السكان يطبعها عدم الاستقرار بصفة كلية، فسكان القصور الموريتانية على سبيل

المثال كانوا ينتقلون إلى الواحات القريبة خلال فصل الصيف، مثل سكان ودان وشنقيط وتيشيت (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 159). وذلك فيما يشبه رحلة الشتاء والصيف المعروفة لدى القبائل البدوية والريفية.

2.4.1- التحصين:

تميزت الفترة الإسلامية الوسيطة التي ظهرت فيها القصور في مراحلها الأولى بعدم استباب الأمن وكثرة الحروب والنزاعات، ويمكن التمييز بين أشكال متعددة من التحصينات، مثل الخنادق والأسوار والمداخل، سواء تعلق الأمر بالقصور السكنية أو الدفاعية أو التخزينية (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 158). ونلاحظ أن المعمار ركز على الجانب الدفاعي في تصميم القصور.

3.4.1- الخزن:

تعتمد حياة سكان بعض القصور على الزراعة الموسمية، مما استدعى ضرورة الاحتفاظ بالفائض من المحصول في مخازن جماعية مهيأة بعيدا عن الغزاة، تحسبا لسنين الجفاف، كما أن الحروب أرغمت بعض القبائل البربرية في المغرب الأقصى على بناء قصورها على شكل تحصينات حجرية (مولود ولد أيده، 2009، صفحة 159). فالغاية من بناء القصور الصحراوية هي تخزين المحاصيل الزراعية والمواد الغذائية للقبائل البدوية المجاورة لها في المقام الأول (Ahmed Ammar , M., Benabdallah , N., & Kari, N, 2024, p. 144)، ونلاحظ هنا التركيز على الأمن الغذائي، المرتبط بعوامل طبيعية كالقحط والجفاف وبعوامل بشرية كالحروب والغارات.

5.1- خطط القصور الصحراوية:

الخطة يمكن أن تعني الشكل الذي تبدو عليه المدينة من خلال انتظام شوارعها وميادينها وأحيائها السكنية، وفق نظام معين، يعطيها شكلا حضاريا يختلف عن غيرها من المدن، واقتران ذلك بالتركيب العمراني فقط، عكس التخطيط العمراني الذي يشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية الطبيعية والحضارية والسكانية والعمرانية والإقليمية (عثمان، 1988، الصفحات 85-86). فالخطة تركز على تنظيم التجمعات السكنية لمختلف القبائل وتوزيع الشوارع والأزقة، بطريقة تأخذ بعين الاعتبار حركة الأشخاص والدواب الناقلة للأمتعة.

وتطول الشوارع والممرات أو تقصر حسب امتداد القصر والطبوغرافية التي تواجد فيها، ويلاحظ على ممراتها الالتواء أحيانا والانكسار أحيانا أخرى، وهذا أملته ضرورة

مناخية، لأن المناطق الصحراوية معروفة برياحها وزوابعها الرملية الحارة صيفا والباردة شتاء، وذلك لغرض التقليل من سرعتها ومن كمية الرمال التي تتدفق على القصر.

6.1- واقع القصور الصحراوية بين الاندثار والحماية:

توجد القصور الصحراوية بين واقعين متناقضين يجاذبانها ويمكنهما أن يحددا مصيرها المستقبلي، الأول هو الاندثار الذي يتفرع إلى عوامل طبيعية، وبشرية كغياب الترميم، وهجرة السكان، والتوسع العمراني والتدخلات العشوائية، وقلة الوعي التراثي، وقلة التمويل وغياب التأطير القانوني. والثاني هو الحماية التي تدخل فيها الصيانة والترميم، والتقوية والإصلاح والتجديد، ومعالجة العوامل الطبيعية، والتوعية التراثية.

1.6.1- عوامل اندثار القصور الصحراوية:

تتعرض القصور الصحراوية للاندثار نتيجة عوامل طبيعية وبشرية مدمرة تؤثر على قدرتها على التكيف والاستدامة، وتؤدي إلى الإضرار ببنيتها وتماسكها، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

1.1.6.1- العوامل الطبيعية:

تعتبر العوامل الطبيعية الأكثر تأثيرا على القصور الصحراوية، لأنها تعرضها للاندثار والتلاشي بطريقة مستمرة وطوال الوقت، فالرياح والعواصف الرملية تصيبها بالتعرية وتسقط أسطحها الخارجية، والأمطار والسيول تتغلغل داخل الأسقف والجدران وتحدث فجوات تضعف تماسكها، أما التغيرات المناخية لاسيما الفروقات في درجات الحرارة بين الليل والنهار والتغير في نسبة الرطوبة فتجعل مواد البناء المحلية من طوب وأخشاب وأغصان هشة ومفتتة.

2.1.6.1- غياب الصيانة والترميم:

تعتبر الصيانة والترميم من أهم العمليات التقنية التي تحافظ على القصور الصحراوية وتطيل عمرها، وغيابها يؤدي إلى نتيجة عكسية تماما، لذلك وجب على الهيئات المشرفة على الثقافة والتراث أن تضع برامج وطنية لترميم القصور يشرف عليها مكاتب دراسات مختصة ومقاولين يملكون الخبرة والدراية اللازمة في هذا المجال، وذلك

دون إغفال الخبرات المحلية لدي السكان والمتمثلة في البنائين والحرفيين الذين لهم علاقة ببناء وإنشاء القصور، وكذا تحضير وتوضيب واستخدام مواد البناء المحلية أيضا، لذلك فوجودهم ضروري ومفيد.

3.1.6.1- الهجرة السكانية:

يمكن أن نقول بأن هذا العامل يمثل الخطر الأكبر على القصور الصحراوية، باعتبار أن نزوح السكان من القصور نحو المدن والمناطق الحضرية لأسباب اقتصادية أو اجتماعية، يجعلها مهملة ومهجورة، ويفقدها فرص الصيانة والحماية، وتصبح وكرا للقوارض والحشرات والزواحف وبقية العوامل الطبيعية والبشرية، التي تنهش تركيبتها البنائية، فتعرضها للتهلهل والتساقط مع مرور الوقت.

4.1.6.1- التوسع العمراني:

إن الزائر لبعض القصور يري بوضوح كيف قام بعض السكان بهدم مساكنهم التراثية العتيقة واستبدلوها ببنايات إسمنتية حديثة مسايرة للتغيرات الاجتماعية واستجابة لدواعي الحياة العصرية، على الرغم من مخالفة ذلك لقيم الحفاظ والحماية للتراث الوطني، بالإضافة إلي نوع أخر من التدخلات العشوائية لبعض السكان من خلال قيامهم بإجراء تغييرات أو تعديلات على مساكنهم باستخدام مواد بناء حديثة كالإسمنت وغيرها، مما يشوه الصورة البصرية لنسيجها المعماري.



صورة رقم 1: استخدام الإسمنت في أحد أزقة قصر بوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث



صورة رقم 2: التأثير السلبي للأمطار على جدران قصر بوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث



صورة رقم 3: تأثر الأساسات بالرطوبة بقصر بوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث



صورة رقم 4: التوسع العمراني العشوائي بقصر بوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث

5.1.6.1- قلة الوعي التراثي:

يمكن تصنيف الكثير من الأضرار التي يسببها السكان المحليون للقصور في خانة قلة الوعي التراثي، فبعضهم لا يدرك القيمة الفنية والثقافية للقصور، باعتبارها معالم تاريخية وأثرية ورافدا مهما من روافد الهوية الوطنية، خاصة لدي تلك المجتمعات المتجذرة فيها، وهو ما ينعكس عليها في أشكال من الإهمال واللامبالاة تجاه حمايتها والمحافظة عليها وصيانتها وترميمها.

6.1.6.1- قلة التمويل والتأطير القانوني:

تواجه عمليات الحفظ والترميم في معظم مناطق الوطن نقصا ملحوظا في التمويل المالي، نظرا لكثرة عدد المعالم التاريخية والأثرية، وضعف الميزانيات المخصصة لذلك، بالإضافة إلى الحالة الاجتماعية المتردية لغالبية سكان القصور، مما يؤدي إلي تدهورها نتيجة قلة العناية والاهتمام، دون أن ننسي غياب التأطير القانوني في الكثير من الحالات مما ينتج عنه تعديات ملحوظة علي هذا التراث الكبير والممتد عبر الجنوب الكبير.

2.6.1.- عوامل حماية القصور الصحراوية:

يمكن بناء استراتيجية واضحة لحماية القصور الصحراوية من خلال التسريع في عمليات التدخل لصيانة وترميم منشآتها، والقيام بحملات منظمة ودائمة لنشر الوعي التراثي لدى المجتمعات المحلية.

1.2.6.1- الصيانة والترميم:

يمكن القيام بعمليات الصيانة والترميم على الأقل في حدود الإمكانيات المتاحة لكل منطقة، وخاصة تلك العمليات التي لا تتطلب وسائل علمية وتقنية حديثة ومتطورة، وذلك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وربح الجهد والوقت. فكما هو معروف أن القصور بنيت بمواد بناء محلية لازالت متوفرة، كالحجارة والطوب والخشب، وبأيادي بنائين محليين لازال بعضهم يتقن هذه الحرفة ويتحكم في تقنياتها.

1.1.2.6.1- التقوية والإصلاح والتجديد:

ويتم ذلك بإضافة مواد داعمة أو لاصقة لإطالة عمر البناية، وهنا يمكن استخدام حتى الطرق التقليدية عندما يتعلق الأمر بمواد محلية كالخشب والطوب، أما التجديد والإصلاح فالأمر يخص تعويض ما تلف من مواد الحماية كالكلسة ومواد البناء المتساقطة أو بعض الأجزاء الحاملة كالأسقف والجدران وفقرات الأقواس والأعمدة، ويجب أن تكون عمليات الاستبدال قليلة ومحدودة وعند الضرورة فحسب، لأن إدخال أي تعديل أو

تجديد على المباني سيقلل من قيمتها الأثرية وأصالتها (منصوري أ.، 2015، صفحة 171). فالأصالة تعد من أبرز مبادئ الترميم الأثري.

2.1.2.6.1- معالجة العوامل الطبيعية:

إن اتخاذ بعض الإجراءات العملية لمعالجة العوامل الطبيعية، يهدف إلى إيقاف حالات تدهور المباني واندثارها، كالبحث عن مصادر الرطوبة لتحديد طبيعة الضرر، من أجل القيام بعدة معالجات في هذا السياق، كاستخدام الطبقات العازلة للرطوبة، لمنع انتقال مسارات الرطوبة أو المياه من منطقة إلى أخري، وكذا منعها من المرور بين مواد البناء، وانتشارها داخل المبني سواء كانت مياه جوفية أو مياه مطرية أو مياه الخاصية الشعرية. وكذلك التخلص من مياه الأمطار، من خلال عمل مزاريب لتصريفها من فوق الأسطح والأسقف، واستعمال الانحدارات لدفعها نحو القنوات. كما يمكن استخدام تقنية العزل التام، عن طريق عمل ميول بالسقوف تفضي إلى مزاريب جانبية لتصريف المياه من فوق الأسطح، ومنع تشكل برك مائية بالقرب من الحوائط. دون أن نغفل الوقاية من أشعة الشمس، من خلال الحد من الأشعة المباشرة الساقطة على المباني والواجهات، برش أو دهن الجدران الخارجية والأسقف باللون الأبيض، لعكس الحرارة بدلا من امتصاصها (منصوري أ.، 2015، الصفحات 171-173).

2.2.6.1- التوعية التراثية:

يملك التراث عموما والتراث المادي الأثري خصوصا ارتباطا مباشرا ومؤثرا في الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية، فالقصور الصحراوية وإن تعرض بعضها للهجران والاندثار بفعل العوامل الطبيعية والبشرية، إلا أنها تحتفظ بمكانة وجدانية لدى سكانها السابقين أو الحاليين، باعتبارها رمزا لهويتهم وانتمائهم الثقافي. لذلك فإن عملية غرس الوعي التراثي لديهم سوف تكون سهلة وسلسة، إذا ما أبرزنا لهم أبعادها المختلفة، واستخدمنا الوسائل الأسرع والأقرب إليهم لإيصال هذه الرسالة التوعوية، وبالأخص وسائل الاعلام المختلفة، وحتى وسائل التواصل الاجتماعي.

2- نظرة علي الأهمية الاقتصادية للقصور الصحراوية:

يمكن للقصور الصحراوية أن تلعب دورا هاما في التنمية المحلية للمجتمعات المحلية، إذا ما تم استغلالها بطرق علمية وإدارية ناجعة، من خلال تفعيل دورها في السياحة الصحراوية، وربطها بالهوية الثقافية للسكان، وتوظيفها لتحقيق التنمية المستدامة، وقيام الحكومة بإجراءات تحفيزية وقانونية لتثبيت السكان، ووضع استراتيجية واضحة لجلب السياح المحليين والأجانب.

1.2- دور القصور في تفعيل السياحة الصحراوية:

لا تختلف القصور الصحراوية كثيرا في المجال السياحي عن معظم المدن السياحية القديمة الموجودة في القيروان وفاس ومراكش وغيرها، لكن الأمر يتطلب إدخال بعض التعديلات عليها حتى تستطيع استقبال السياح، سواء من داخل الوطن أو من خارجه، وإن كنا لا نستطيع تهيئة كل القصور المنتشرة في الصحراء الجزائرية، لكن يمكن أن يقتصر ذلك على أهمها وأكثرها ملائمة في الاستغلال السياحي (عزوق، 2008، صفحة 79).

2.2- علاقة القصور بالهوية الثقافية للسكان المحليين:

يعد التراث العمراني والمعماري من أهم مقومات المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمعات المحلية، كونه شاهدا ماديا على تراكم خبرات المجتمعات عبر تاريخها، ومن الأعمال المتوارثة عبر الأجيال، ويظهر ذلك في صورة بيئة عمرانية متكاملة، على الرغم من معاناته من عدة إشكالات مختلفة، وأوضاع مزرية لا يمكن تجاهلها، من خلال التشوهات والتعديات التي تعرض لها (حمود، 2014، صفحة 9)، وتبقي هذه القصور جزءا من شخصية وهوية هؤلاء السكان الذين تربت منهم أجيال داخلها، وتشبعوا بالقيم الاجتماعية المحلية، التي تعبر عن انتمائهم وولائهم للمكان.

3.2- دور القصور في تحقيق التنمية المستدامة:

إن تحقيق التنمية المستدامة للسكان المحليين بتوظيف التراث العمراني للقصور الصحراوية، تعترضه عدة عقبات ذاتية وموضوعية، تتداخل فيها العوامل الفيزيائية والقانونية والديموغرافية، ترتبط بهذه القصور، والجوانب التشريعية المتعلقة بالمؤسسات والهيئات المشرفة على قطاع الثقافة وكذا ملكية المساكن داخلها، لذلك فالأمر يتطلب القيام بإجراءات معينة حتى نصل إلى هذا المبتغى، ويمكن تلخيص بعضها، فيما يلي (حمود، 2014، الصفحات 9-10):

1.3.2- الإجراءات التحفيزية الحكومية:

من أجل تثبيت السكان داخل القصور والحد من الهجرة إلى المدن الحضرية الحديثة، لابد للحكومة أن تتبني سياسة تجمع بين التنمية الاقتصادية وحماية التراث الثقافي، من خلال القيام بأعمال الصيانة والترميم والتهيئة، وإطلاق برامج مالية لتوفير قروض للسكان من أجل ترميم مساكنهم ومحلاتهم، قصد تشجيعهم على البقاء للمساهمة

في حماية القصور وصيانتها باعتبارها رمزا لأصالتهم وهويتهم الثقافية، واستدامتها للأجيال القادمة.

كما ينبغي على الحكومة أن تشجع المشاريع الصغيرة والمتوسطة ذات العلاقة بالصناعات والحرف التقليدية والسياحة الصحراوية، وتحسين البنية التحتية الأساسية كالطرق والمياه والكهرباء، وتطوير الخدمات التعليمية والصحية، ويهدف هذا المزج بين القطاعات إلى تثبيت السكان وتحفيز روح الانتماء المحلي لديهم، وخلق فرص عمل مباشرة وغير مباشرة مرتبطة بالسياحة، للوصول إلي دمج التنمية المحلية مع حماية التراث الثقافي الصحراوي.

2.3.2- تطوير السياحة الصحراوية:

إن تطوير السياحة الصحراوية في الجزائر مرتبط بمراعاة الخصوصيات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمنطقة، وذلك بجلب الموارد الخارجية وتحفيز القطاعات ذات الصلة، وتعزيز هيكلة الإقليم، وتشجيع التوعية البيئية والحفاظ على الموارد، والإسهام في تثمين التراث المادي واللامادي، وتعزيز الانفتاح والحوار بين الثقافات، كما يسهم في خلق فرص عمل مباشرة وغير مباشرة، ودمج الشباب العاطل، والعمل على استقرار السكان، وبالتالي تعزيز صورة الجزائر وجاذبيتها للاستثمار (Aroub , 2015, p. 5).

وقد وضعت وزارة السياحة خطة عمل منذ الفترة الممتدة بين 2010 و2015، لتطوير مستدام يأخذ بعين الاعتبار البيئة والمرافق والفعاليات والإشراف، بهدف تحسين قدرات الفاعلين والبنية التحتية والخدمات، وتنويع عروض وجودة المنتجات السياحية، لجذب أسواق جديدة، وزيادة الإقبال، إضافة إلى دعم التواصل والترويج للأماكن الصحراوية عبر إعادة تشكيل صورتها السياحية وتسليط الضوء علي قيمتها التراثية والهوياتية المميزة (Aroub , 2015, pp. 6-7). لكن هذه الخطط يبدو أنها في حاجة إلى تحديث مستمر، حتى تتماشي مع التحولات التي يعرفها القطاع ليس في الجزائر فحسب بل على المستوي العالمي، ولا سيما موضوع الرقمنة والدفع الالكتروني وغيرها.

4.2- استراتيجية جلب السياح:

يمكن اعتماد استراتيجية مرنة تستغل الإمكانات المتاحة لجلب السياح المحليين والأجانب، عن طريق تشجيع الأعمال المرتبطة بالسياحة والصناعات التقليدية ورفع العقبات البيروقراطية أمامها، وتحسين الإطار المعيشي للسكان المحليين بتشجيعها على المساهمة في النشاط السياحي وإحياء الحرف والصناعات التقليدية، واستخدام القصور

بعقلانية في المهرجانات الثقافية والدينية المعروفة في المنطقة، مع واجب الحفاظ القيمة التراثية للقصور.

1.4.2- تشجيع الأعمال المرتبطة بالسياحة والصناعات التقليدية:

يتم ذلك من خلال جعل القصور كأماكن لاستضافة السياح، وتمكينهم من التعرف على المطبخ التقليدي المحلي، وتسهيل الإجراءات لجعل الحرفيين يعرضون منتجاتهم الحرفية ويبيعونها من خلال فضاءات مخصصة لذلك، وخلق مسارات سياحية موجهة داخل القصور، وعرض العادات الثقافية المحلية بأسلوب منظم وجذاب، وتمكين السكان المحليين من فرص التكوين في الارشاد السياحي، للحفاظ على العملية وتطويرها، والعمل على الترويج للسياحة القصورية بالوسائل المتاحة.

2.4.2- تحسين الحالة المعيشية للسكان المحليين:

تساهم القصور الصحراوية في تحسين الحالة المعيشية للسكان المحليين من خلال انخراطهم في النشاط السياحي وإحياء الحرف التقليدية، وخلق وظائف جديدة تتناسب مع هذا النشاط، كالعودة إلى حرف البناء والحدادة والنجارة، التي تساهم في ترميم القصور وتحافظ على بنيتها، وحتى العودة الي النشاط الزراعي في الواحات، وجعله مكملا للنشاط السياحي من خلال السماح للسياح أن يعيشوا هذه التجربة ويستهلكوا المحاصيل المعروفة في الصحراء، وبالأخص التمور بأنواعها، والمنتجات المشتقة منها.

3.4.2- توظيف القصور في الفعاليات الثقافية والدينية:

يمكن بعث فعاليات ثقافية واقتصادية لجلب السياح، كالمهرجانات والوعدات والزوايا، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك هو المهرجان الدولي للسياحة الصحراوية، الذي فضاء مفتوحا يجمع مختلف الفاعلين في السياحة الصحراوية، من خبراء ووكالات سفر وفنادق وحرفيين، إلى جانب مؤسسات حكومية وشركاء دوليين، ووسائل الإعلام (المهرجان الدولي للسياحة الصحراوية، 2026)، حيث أقيمت منه سبعة طبعات عبر مختلف ولايات الجنوب الكبير، أخرها طبعة تيميمون، ن 4 إلى 6 ديسمبر 2025 ، تحت شعار :"تيميمون سياحة أصيلة وكرم الضيافة". كما يستقطب الحدث زوارا من داخل الوطن وخارجه، لخوض تجربة استكشافية فريدة في عمق الصحراء، تنبض بإيقاع الثقافة المحليّة.

هذا بالإضافة إلى فعاليات أخري مشهورة في المناطق الصحراوية: كمهرجان السبيبة التي هي رقصة تقليدية ترقية ترافقها ضربات الطبول، تقام في واحة جانت في منطقة

الطاسيلي ناجر، وقد سجلت في قائمة التراث العالمي لليونسكو سنة 2014 (الإذاعة الجزائرية، 2026). والمهرجان السنوي لعيد الجمل بمنطقة عبان رمضان «أشداي» ببلدية برج باجي الذي يحفل بالأنشطة الثقافية والتراثية والرياضية والاقتصادية التي تجسد الروابط بين الإنسان الصحراوي وبيئته الطبيعية، وقيم الأصالة والحاضر الذي يبحث عن التنمية المستدامة دون التفريط في الجذور (مولاي، 2026).

أما الوعدات التي ترتبط غالبا بالمناسبات الدينية وتجمع حولها أعداد كبيرة من الوافدين من مختلف جهات الوطن، فيمكنها أيضا أن تكون من وسائل الجذب السياحي لما تمثله من قيم أنثروبولوجية أصيلة نابعة من الموروث الديني والثقافي للمناطق الجنوبية، مثل: وعدة سيدي الشيخ في الجنوب الغربي الجزائري (البيض وبشار والنعامة)، ووعدة سيدي أحمد بن موسي بأدرار، وموسم زاوية سيدي موسى بأدرار أيضا، واحتفالية المولد النبوي الشريف بزوايا توات وقورارة (أدرار وتيميمون)، وختمات القران الكريم بزوايا تمنراست وجانت، وموسم أولاد سيدي الحاج بورقلة.

4.4.2- استغلال القصور مع الحفاظ علي قيمتها الأثرية:

إن استغلال القصور في الجانب الاقتصادي لا يعني التفريط في قيمتها الأثرية المتمثلة في الجانب المعماري والعمراني، وبالأخص عناصرها المعمارية الأكثر هشاشة كالسقوف والأبواب وحتى الأرضيات ومختلف أنواع الأثاث، ولن يتأتى ذلك إلا بإشراك الخبراء والمختصين، وفعاليات المجتمع المدني في عمليات الصيانة والترميم، ومنع التدخلات العشوائية التي تستخدم مواد بناء حديثة، حتى لا تشوه منظرها وتفقدها أصالتها، وتقنين الحركة داخل القصور، من خلال تحديد عدد الزوار والأماكن التي يزورونها، وتكييف النشاطات الثقافية والاقتصادية بحيث لا تضر ببنية هذه القصور.



صورة رقم 5: المعلم السياحي زاوية الهامل بالقرب من قصر بوسعادة.

المصدر: انحا: الباحث



صورة رقم 6: مسجد سيدي ثامر أحد المقاصد السياحية بقصر بوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث



صورة رقم 7: الأثاث التقليدي ببوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث



صورة رقم 8: الحلي التقليدي ببوسعادة.

المصدر: إنجاز الباحث

الخاتمة:

وفي المحصلة يمكن القول أن القصور الصحراوية تعتبر رافدا ثقافيا هاما من روافد الثقافة الجزائرية، لما تختزنه من جوانب عمرانية ومعمارية أصيلة، تبرز هوية وعبقرية الإنسان الصحراوي في التكيف مع بيئته القاسية وتطويعها، باستخدام وسائل محلية وخبرات ابتكارية، جسدها في طرق وتقنيات البناء وصناعة أدواته التي يحتاجها في حياته اليومية، وما يزيد هذه القصور أصالة وعراقة أنها نشأت منذ العصور الإسلامية الوسيطة، وبقي معظمها صامدا في وجه التحديات الطبيعية والبشرية إلي غاية وقتنا الحالي.

وبعد الدراسة والتحليل يمكن تعديد بعض النتائج والتوصيات الهامة، ونلخصها كما يلي:

1-النتائج:

- مفهوم القصور الصحراوية من الناحية التاريخية عرف تنوعا كبيرا، لكن هناك إجماع حول أنماط معروفة من ناحية الشكل والوظيفة. ومن الناحية الأثرية هناك أصناف من القصور في السهول والجبال، وخططها لا تختلف عن خطط المدينة الإسلامية بمرافقها العامة، كالمساجد والأسواق والساحات العامة والمنشآت المائية والمقابر.

- تواجه القصور الصحراوية صعوبات جمة تتمثل في عوامل الاندثار المختلفة التي ترتبط بالبيئة الطبيعية التي توجد فيها، ومنها الطبيعية والبشرية، والتي يمكن الحد منها أو التغلب عليها بتدابير الصيانة والترميم ومعالجة العوامل المختلفة ونشر الوعي التراثي لدي السكان المحليين.

- من الناحية الاقتصادية يمكن للقصور الصحراوية أن تستغل في السياحة الصحراوية لما تمثله من هوية ثقافية أصيلة للسكان المحليين، لكن مع مراعاة مبادئ السياحة المستدامة التي يجب أن تدعم بإجراءات تحفيزية وقانونية تساعد هؤلاء السكان في الحفاظ على مساكنهم، مع وضع استراتيجية واضحة لجلب السياح المحليين والأجانب، تعتمد على تفعيل الأعمال المرتبطة بالحرف التقليدية، وتحسين معيشة السكان، وبعث الفعاليات الثقافية والدينية، على أن يكون كل ذلك في ظل الحفاظ على القيمة الأثرية للقصور.

2-التوصيات:

- صيانة وترميم القصور الصحراوية يقتضي إدراج معظمها في مخططات الحماية كقطاعات محفوظة، واستفادتها من برامج الصيانة والترميم التي تشرف عليها وزارة

الثقافة، وإشراك الحرفيين المحليين في العملية وتدريبهم على تقنيات الحفظ والترميم الحديثة.

- ينبغي تشجيع السياحة المستدامة التي تحترم القيمة التراثية والبيئية للقصور، وتعزيز العلاقة مع المجتمعات المحلية لانخراطهم في النشاط الاقتصادي داخل القصور والمحافظة علي هويتهم الثقافية.

- ضرورة الشراكة مع المؤسسات الحكومية، كالمديريات المختصة في التراث والمعاهد والجامعات من أجل القيام بأبحاث علمية للحفاظ على القصور الصحراوية وكل ما يتعلق بها من تراث مادي ولامادي.

- يجب نشر الوعي التراثي باستغلال وسائل الاعلام ووسائل التواصل الاجتماعي المتاحة من أجل توعية المجتمعات المحلية بضرورة المحافظة على القصور والاستفادة منها في جميع النواحي الممكنة.

قائمة المراجع:

- ابن خلدون، ع.ا. (1978). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر (ج.7) بيروت.
- أحمد منصوري. (2015). عوامل وأسباب اندثار القصور الصحراوية وسبل المحافظة عليها: قصور توات أنموذجا. مجلة منبر التراث، 4(1)، 159_176.
- أحمد مولود ولد أيده. (2009). الصحراء الكبرى مدن وقصور (ط 1). (وزارة الثقافة -الجزائر، المحرر) دار المعرفة.
- الإذاعة الجزائرية. (07 02, 2026). تم الاسترداد من مهرجان السبيبة بجانت ..."فرح الصحراء :" https://my.radioalgerie.dz/ar/node/17465
- المهرجان الدولي للسياحة الصحراوية. (07 02, 2026). تم الاسترداد من https://fits.dz/تقديم-المهرجان/
- عبد الكريم عزوق. (10 12, 2008). دور القصور الصحراوية في التنمية السياحية. مجلة الدراسات الأثرية، 6(1)، الصفحات 75-86.
- محمد حسن. (1999). المدينة والبادية في العهد الحفصي (المجلد 1). تونس: جامعة تونس الأولى.
- محمد عبد الستار عثمان. (1988). المدينة الإسلامية. (عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت) الكويت.
- محمد محسن. (2003). الجغرافيا التاريخية لإفريقيا من القرن 1 إلى 9 هـ/ 7 إلى 15 م: فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات (ط 1). بنغازي، ليبيا: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- مولاي, ز. (2026, 02 07). الجنوب الكبير. عيد الجمل ببرج باجي مختار... تظاهرة تراثية تحمي هوية الأجيال/https://eldjanoubelkabir.dz :

- نعيمة حمود. (30 6, 2014). حماية القصور الصحراوية في إطار التنمية المستدامة بالجزائر. (جامعة قسنطينة) : مجلة علوم وتكنولوجيا، 0(39)، الصفحات 5-12.

- Ahmed Ammar , M., Benabdallah , N., & Kari, N, (2024). Laksour Region (algeria) Architecture And Urbanism: An Insight Into A Valorization Model. *آفاق للعلوم 9*(1), pp. 142-158.
- Aroub , R. (2015, 12 31). Le Tourisme Saharien Etat Des Lieux Et Stratégie De L'état Pour Son Développement. *Revue des reformes Economique et intégration dans l'économie mondial, 10*(20), pp. 7-17.
- Chekhab-Abudaya, M. (2016). *Le qsar, type d'implantation humaine au Sahara : architecture du Sud Algérien.* Oxford: Archaeopress Publishing Ltd.